رؤيةٌ فنّيَّةٌ في معركةِ الطفِّ الخالدةِ

نجلاء حسين خليل

تعدُّ معركةُ الطفّ من أكثرِ المعاركِ جدلًا في التاريخِ الإسلاميّ، فقد كان لنتائجِ المعركةِ وتفاصيلها آثارٌ سياسيّة ونفسيّة وعقائديّة ما تزال موضعَ جدلٍ حتّى الآن، وأصبحت معركةُ كربلاء بكلِّ تفاصيلِها الدقيقة من أهمِّ المرتكزاتِ الثقافيّة عند الشيعةِ، وأصبح يومُ عاشوراء رمزًا لثورةِ المظلومِ على الظالمِ، ويومَ انتصار الدمّ على السيف.

وسنعرض بعضًا من هذه الأحداث المأساويّة من طريقِ تتبّعِ لوحاتِ الفنّان (حسن روح الأمين)، وهي لوحات تصف واقعة كربلاء، ومدى بشاعةِ أحداثها، خاصّة أنّ سيّدات آل البيتِ (عليهم السلام) كانوا شهودَ عيانٍ على المعركةِ، وأحداثها المؤسفة، إذ كانت البدايةُ مع لوحاتِ لحظاتِ توديع الإمامِ الحسين (عليه السلام) لابنته رقيّة، وهى صغيرة السنّ، ثمّ لوحة توديع أخته السيّدة زينب (سلام الله عليها) قبل بدءِ المعركة.

وبعد أن بدأت المعركة وتساقطَ الشهداء من آلِ البيت (عليهم السلام)، جاء الدورُ إلى القاسم بن الحسنِ بن أمير المؤمنين (عليهم السلام)، في الدفاعِ عن عمّه الحسين

(عليه السلام)، وقد كانت له صولاتٌ حيدريّة في ساحةِ المعركة، حتّى قُتِلَ شهيدًا، وتوضّح اللوحةُ لحظةَ احتضانِ الإمام (عليه السلام) للقاسمِ بعد مقتلهِ؛ لنقلهِ إلى خيمةِ النساءِ وكانت رجلاه تخطّان الأرضَ، وقد انهالت الهمومُ والرزايا على الإمام الحسينِ (عليه السلام) في أثناء حمل ابن أخيه.

ثمّ تلت هذه الصورة صورة أخرى من الأحداثِ، وهي لحظةُ قتلِ عبدِ الله الرضيع أصغرِ أبناءِ الإمام (عليه السلام) بالسهامِ الغادرةِ من بني أميّة، وهي صورة حضن الإمام (عليه السلام) للرّضيعِ، ومدى انكساره وتألّمه في هذهِ اللحظة.

تلتها لوحةُ نجوى الإمام (عليه السلام) ونظرهِ إلى السماء، وتساقطِ الدماءِ على يديهِ.

وبعد أن اشتدّت المعركةُ جاءت أكثرُ اللوحاتِ شدّة؛ حيث الإمام يمتطي الحصانَ الأبيض، وأصحاب الباطلِ حوله يرمونه بالسهام؛ ويطغى على اللوحةِ اللونُ الأحمرُ؛ لتدلّ على القسوةِ والجبروتِ والغدرِ عند أعداء الحسين.

ثمَّ تأتي بعدها لوحةٌ تبيّنُ تأثّر الإمام (عليه السلام) بالسهام الغادرة، فيميلُ الإمام (عليه السلام) عن حصانهِ، ليسقطَ على الأرضِ، ويعود الحصانُ مع حصانِ أخيه العبّاس لوحدهما إلى الخيامِ، وقد غطّتهما الدماء الزاكية للإمام (عليه السلام).

ثمّ بعد ذلك لوحةُ احتراق خيام نساءِ آلِ البيتِ (عليهم السلام)، وتصاعد الدخانِ منها.

تلتها لوحةُ دفنِ الإمامِ (عليه السلام) من قبلِ الإمام السجّادِ (عليه السلام)، يعاونه في جمع الأجسادِ الشريفة بنو أسد، وقد حمل جسد أبيه المبضّع في رداءٍ ملطّخٍ بالدماء؛ لتصعَدَ روحُ الإمام (عليه السلام) إلى السماء، وتظلّ خالدةً فى ضمير الإنسانيّة، وليبقى دمه وقودًا يُحرّك ضمائرَ الأحرارِ، ويعبرَ الزمانِ والمكانِ.